٢٣

لزوم الثبات عند المحن والبلاء (١)

الخُطْبَةُ الأُولَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

نعوذ بالله من البدع ومن الضلالات ومن النار.

أيها الناس ... عباد الله..

إن من سُنن الله في أرضه أن يبتلي عباده بأنواعٍ من البلايا والفتن والمصائب

(١) تلقى هذه الخطبة عند المحن والابتلاء ، وتصلح في أي زمن.

والمحن، ليتميز الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، فيثبت الثابت، ويتذبذب المذبذب، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة ، ويمحص الله المؤمنين ويمحق الكافرين .

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت:١-٣].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال : «إنه مؤمن» ، وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سُنَّته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته. فمن أثرت في قلبه الشبهات شكًا وريبًا، وصرفته الشهوات إلى المعاصي وترك الواجبات، دلَّ ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه. والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطيبها. اهـ بتصرف في آخره.

فقد يبتلى العبد بالخير وقد يبتلى بالشر وقد يبتلى بالصحة وقد يبتلى بالمرض وغير ذلك كما قال تعالى:﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥] .

وقد يبتلى بالأموال والبنين وزهرة الحياة الدنيا قال تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن:١٥] .

وقد يبتلى المؤمنون بتسلط الأعداء عليهم من أهل الكفر والضلال ليتميز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق لأنه لو كان النصر والغلبة للمؤمنين بصورة مستمرة لدخل في الإسلام من ليس منه خوفًا من القتل كحال المنافقين.

قال تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[آل عمران:١٨٦] .

وقال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[آل عمران:١٤٠] .

فالمؤمن يتقلب بين أمرين : إما خير فيشكر ، وإما ضر فيصبر ، وهو مأجور في كلا الحالين.

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ صُهَيْب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» .

فمن كان كذلك فقد فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب ولا يمكن لمؤمن أن يدخل الجنة إلا بعد أن يلاقي أنواعًا من البلايا والامتحانات كما أخبر ربنا

في كتابه الكريم فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[البقرة:٢١٤].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم، فهي سُنَّته الجارية، التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه، لا بد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها. ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه. فقد ابتلى الله الأقدمين بالفقر والأمراض ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾ بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال، وقتل الأحبة، وأنواع المضار ...فلشدة الأمر وضيقه قال ﴿ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ ﴾. فلما كان الفرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ فكل من قام بالحق فإنه يمتحن. فمن صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحات، وأعقبه ذلك، الانتصار على الأعداء وشفاء ما في قلبه من الداء. اهـ ملخصًا .

عباد الله: اعلموا رحمكم الله أن أشد الابتلاءات وأعظمها البلاء في الدين أما الابتلاء في أمور الدنيا فإنه يسير، فالابتلاء في الدين يتميز فيه الصادق من الكاذب، فمن ثبت نبت ، ومن انحرف فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين، فيتوجب على العبد أن يثبت على الحق وأن يصبر على البلاء ليفوز بسعادة الدارين، وليحتسب الأجر والثواب عند الله، فلقد صبر قوم ممن

كان قبلنا فنصرهم الله في الدنيا وأثابهم في الآخرة كما أخبر ربنا في كتابه ونبينا ﷺ في سُنَّته ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

فقد روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ خَبَّاب بْن الأَرَتِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: « **شَكَوْنَا إِلَى رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَة، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو الله لَنَا؟ قَالَ: « كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْض، فَيُجْعَلُ فِيه، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَار فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسه فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْن، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلكَ عَنْ دينه، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاط الحَديد مَا دُونَ لَحْمه مِنْ عَظْم أَوْ عَصَب، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلكَ عَنْ دينه، وَالله لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسيرَ الرَّاكبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّه، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمه، وَلَكنَّكُمْ تَسْتَعْجلُونَ** » .

ولقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع القصص من الثبات عند البلاء ممن كان قبلنا.

من ذلك ما روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصة الثلاثة النفر والغلام والراهب وجليس الملك الذين ابتلاهم الله بذلك الملك الطاغية. قال صلى الله عليه وسلم: « كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ للملك: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْه غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقه، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْه وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهب وَقَعَدَ إِلَيْه، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلكَ إِلَى الرَّاهب، فَقَالَ: إِذَا خَشيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّة عَظيمَة قَدْ حَبَسَت النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَم الرَّاهبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهب أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْر السَّاحر فَاقْتُلْ هَذه الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ

مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي

كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الملكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ » .

الشاهد أن هؤلاء الثلاثة والمرأة رابعهم، ثبتوا عند المحنة وباعوا أنفسهم لله بمقابل جنة عرضها السماوات والأرض، ولم يتزعزعوا أمام التهديدات والعذاب والقتل في سبيل الله.

بخلاف بعض الناس ربما لو جاءه وعيد من وراء وراء لرأيته يتنازل عن دينه أو عن شيء من دينه أو تراه يترك سُنَّة خوفًا من الناس وترى بعضهم يحلق لحيته لئلا يقول الناس هذا متشدد أو إرهابي، فأين هذا من هؤلاء وما ذا حصل لهذا بمقابل ما حصل لأولئك .

فانظر إلى الغلام وثباته وتوحيده وثقته بربه ودعوته إلى دين الله حيًّا وميتًا وانظر إلى همته العالية كيف جعل الناس يؤمنون بالله على حساب نفسه وإزهاق روحه الطيبة ، فبعض الناس مستعد أن يتنازل عن شيء من دينه ، خوفًا من الفقر أو بمقابل حطام من الدنيا زائل.

وانظر كيف ثبت الله تلك المرأة وأنطق صبيها ليثبتها ويصبرها لما علم الله من صدقها وإخلاصها: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه القصة هي التي ذكرها الله في سورة البروج في قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾[البروج:٤] .

فيا عبد الله : إن علم الله صدقك وإخلاصك ثبتك ووفقك وعصمك، وهانت عليك المصائب في سبيل دينك، فكن مثل هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاحُ

فبعض الناس من ضعفاء النفوس يتأرجح عند حصول الفتن والابتلاءات و يتذبذب ،وما وصل إليه أذى، لا بالقول ولا بالفعل ، وإنما مجرد توقعات أو تهويلات فقط، والله المستعان.

فالصبرَ الصبرَ، والثباتَ الثباتَ، فمن ثبت نبت ،ومن صبر أُجر، والأمور كلها بيد الله ، ونواصي العباد كلها بيديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فيا عبد الله : لا تترك الحق خوفًا من الناس، فإن عذاب الله أشد من فتنة الناس، قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[العنكبوت:١٠] .

أي: أنه يوافق الناس ويطاوعهم خوفًا من أذاهم ، فجعل فتنتهم كعذاب الله ، فقدم عذاب الله وآثره على فتنة الناس وأذاهم ، ليسلم منهم .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَيْ جَعَلَ أَذَى النَّاسِ وَعَذَابَهُمْ كَعَذَابِ الله في الْآخِرَةِ، أَيْ جَزِعَ من أذى النَّاسِ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَأَطَاعَ النَّاسَ كَمَا يُطِيعُ الله مَنْ خاف من عَذَابَهُ، هَذَا قَوْلُ السُّدِّيِّ وَابْنِ زَيْدٍ. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي جعلها صادة له عن الإيمان والثبات عليه ، كما أن العذاب صاد عما هو سببه. اهـ

وإليكم نماذج من ثبات النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أمام كفار قريش ، وأمام العرب والعجم ، وأمام الفرس والروم ، وأمام المغريات وأمام المحن والتعذيب ، ولكنهم ثبتوا بإيمانهم وبتوفيق الله لهم. فلقد ضربوا أروع الأمثلة من الثبات عند البلاء.

فأما النبي ﷺ فقد عرضوا عليه الملك والرياسة وعرضوا عليه المال والنساء، فلم يكن همه إلا تبليغ دين الله والفوز برضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فصبر في سبيل ذلك على كل أذى صدر منهم ولاقى منهم ألوانًا من الشتم والسب بل قد ضربوه وأدموه وخنقوه ووضعوا السلا على ظهره الشريف ، فإنه لما لم يطاوعهم لِما أرادوا تعرضوا له بالأذى بالقول والفعل وأرادوا قتله فأخرجه الله من بين أظهرهم سالمًا وأذن له بالهجرة.

فقد روى ابن عساكر عن عقيل بن أبي طالب قال : جاءت قريش إلى أبي طالب ، فقالوا : إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا ، فانهُ عن أذانا ، فقال: يا عقيل ائتني بمحمد فذهبت فأتيته به ، فقال يا ابن أخي: إن بني عمك يزعمون أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم ، فانتهِ عن ذلك ، قال : فحلق رسول الله (ﷺ) بصره إلى السماء فقال : «أترون هذه الشمس؟» ، قالوا نعم قال: « ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على أن تستشعلوا لي منها شعلة » ، قال: فقال أبو طالب ما كذب ابن أخي فارجعوا.

وروى أبو يعلى وغيره عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن قريشا بعثوا أبا الوليد عتبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منّا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفَّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها ، قال: فقال له رسول الله ﷺ : « قل يا أبا الوليد أسمع » .

قال: يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الأطباء ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: « أفرغت يا أبا الوليد؟»، قال: نعم، قال: « فاستمع مني»، قال: أفعل، فقرأ ﷺ صدر سورة فصلت ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ ﴾[فصلت : ١ - ٤] .

وفي رواية حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ ﴾ [فصلت : ١٣] ، فقال أبو الوليد :حسبك، أنشدك الله والرحم إلا سكت، وأمسك عتبة على فيه.

ثم قال: « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك » . فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد، بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس فيهم قالوا ما وراءك، يا أبا الوليد، فقال

ورائي إني سمعت قولاً، والله ما سمعت بمثله قط، ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، فأنتم أسعد الناس به، فقالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه فقال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم.

وفي رواية: قال: وقرأ السورة إلى قوله:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت : ١٣] ، فأمسكت بكفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب فقال أبو جهل لعنه الله:نحن نجمع لك أموالا يا أبا الوليد تغنيك عما في يد محمد.

الشاهد أن النبي ﷺ ثبت أمام المغريات وفي المقابل فإنه ثبت أمام الأذى بالقول والفعل ومفارقة الأحباب والأصحاب والأوطان في سبيل تبليغ الرسالة.

وروى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ

يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » .

فالنبي ﷺ لايبالي بما حصل له ولم يكن همه الانتقام لنفسه مع قدرته عليهم بعدما سمع من جبريل وملك الجبال عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، لكن هناك أمر أعظم من هذا ينظر إليه بعين الاعتبار، وهو إقامة دين الله والصبر على الأذى في سبيل تبليغه، فنظر إلى العواقب فكانت حميدة، فقال عليه الصلاة والسلام : « **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** » .

وقد حقق الله أمنيته وأخرج منهم ومن أصلابهم سادةً وقادةً ومجاهدين في سبيله فتحوا الأمصار وأهانوا الكفار وقاموا الليل وصاموا النهار أمثال عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وخالد بن الوليد وغيرهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين .

فالشاهد أن نبينا ﷺ أوذي وعودي وأخرج من بلده وحصل له الأذى من أقرب الناس إليه كعمه أبي لهب لعنه الله فقد كان يرجمه بالحجارة ويقول: لا تصدقوه أنا عمه وأنا أعلم به.

وفي غزوة أحد جُرح عليه الصلاة والسلام في وجهه وكسرت رباعيته وكاد أن يقتل فسلمه الله وقُتل عمه حمزة بن عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو من أحب الناس إليه (أسد الله وأسد رسوله)، وقُتل سبعون من خيار الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وهو ﷺ صابر ومحتسب ، وثابت على دين الله وعلى تبليغه إلى الناس ، حتى وصل إلينا غضًّا طريًّا ، ولم يحصل لنا من الأذى عشر معشار ما حصل للنبي ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ، وسيأتي قريبا ذكر بعض الأمثلة ، لما حصل لهم من الأذى والتعذيب في سبيل هذا الدين.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد :

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنعم علينا بهذا الدين الحنيف وأكرمنا به، لكن جعله محفوفًا بالمكاره ، وتحمل المشاق والأعباء في سبيل حمله وتبليغه للناس ، ورتب على ذلك جنة عرضها السماوات والأرض ، فمن حمل هذا الدين وصبر على الأذى في سبيله ، كان العوض هو الجنة ، ومن انتكس على عقبيه وانقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة.

والأجر يكون على قدرالصبرعلى البلاء، فمن عظم صبره واشتد بلاؤه زاد أجره، والصبر يكون على حسب الإيمان وقوته، ولهذا لما كان إيمان الصحابة كالجبال ، بذلوا في سبيله كل غالٍ ونفيس ، وتركوا الأهل والأوطان وهاجروا إلى الله ورسوله ، وتحملوا في سبيله جميع أنواع الأذى والتعذيب ، فمنهم من قُتل في سبيل هذا الدين ، ومنهم من سلب ماله ، ومنهم من عذب في حر الرمضاء وقت الظهيرة ، ومنهم من ضرب حتى كاد أن يموت ، ومنهم من سجن حتى كاد أن يموت جوعًا وعطشًا ، وغير ذلك من ألوان الأذى والتعذيب.

فقد روى ابن ماجه عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَمَنَعَهُ الله بِعَمِّه أَبِي طَالِب، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ الله بِقَوْمِه، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا

وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي الله، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ.

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ» رواه البهيقي

فما كان منه ﷺ إلا أن ثبتهم وصبرهم ووعدهم بالجنة فهان عليهم العذاب فأما سمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فرموها بسهم في فرجها فماتت وكانت أول شهيدة في الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فهؤلاء ثبتوا أمام التعذيب.

وبالمقابل فإن منهم من ثبت أمام الدنيا وأما المغريات فعرضت عليه فأباها.

منهم كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان من شأنه أن تخلف عن غزوة تبوك هو وصاحباه فهجره النبي ﷺ وأصحابه خمسين ليلة فلم يكلمهم ولم يرد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حتى أنزل الله توبته عليهم بقرآن يتلى إلى قيام الساعة فلما سمع ملك غسان وكان نصرانيا بقصة كعب بن مالك وهجره، أراد أن ينتهز الفرصة فيغريه بشيء من المال ولعاعة الدنيا فكتب إليه كتابا هذا نصه: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، قَالَ كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتُهَا، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، قَالَ: فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا. أي: قصد بها التنور فأحرقها.

والقصة في الصحيحين عن عبد الله بن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

فتصور يا عبد الله : لو أن أحدا من ملوك النصارى اليوم كتب مثل هذه

الرسالة إلى أحد أبناء المسلمين ماذا سيكون الرد؟

فإن بعض المسلمين اليوم من يتمنى الدولارات ولوعلى حساب دينه فهو مستعد أن يتنازل عن دينه أو عن شيء من دينه!أو يترك السُّنَّة من أجل لعاعة الدنيا! بل بعضهم مستعد أن يبيع دينه ويتنصر بمقابل ألف دولار من النصارى ولكن لم يتسنَ له ذلك والعياذ بالله، والمنظمات التبشيرية والتنصيرية والماسونية أكبر دليل فقد خطفوا كثيرًا من أبناء المسلمين من ضعفاء النفوس وعباد الدنانير فلحقوا وراءهم، وظنوا أنهم قد فازوا، وهم في الحقيقة قد خسروا خسارة عظيمة، وأما الدنيا فإنها زئلة وفانية مهما تزخرفت لهم قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر : ١٥] .

فالمال ياعباد الله فتنة عظيمة، ينهزم أمامه كثير من الناس-نسأل الله العافية- فقد روى الترمذي عن كعب بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ**» .

ومن الناس من يثبت على دينه وقت الرخاء ورغد العيش، فإذا جاءت المصائب والابتلاءات والفقر والمكدرات التي من شأنها تمحيص العبد وامتحان إيمانه إذا به ينحرف ويتذبذب ولا يثبت، وربما ارتد عن دينه والعياذ بالله.

وهذا الصنف يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[الحج:١١] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي: ومن الناس من هو ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه، إما خوفًا، وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن، ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ ﴾ أي: إن استمر رزقه

رغدا، ولم يحصل له من المكاره شيء، اطمأن بذلك الخير، لا بإيمانه. فهذا، ربما أن الله يعافيه، ولا يقيض له من الفتن ما ينصرف به عن دينه، ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ من حصول مكروه، أو زوال محبوب ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ أي: ارتد عن دينه. اهـ

ونختم بهذه القصة من قصص الصحابة في الثبات على الحق والصدع به، وهي قصة أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جاء من غفار إلى النبي ﷺ ليسلم قال فقلت له: اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي: « **يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ**» فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى المَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الغَدَ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالأَمْسِ، وَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمْسِ.

فالثباتَ الثباتَ ياعباد الله، الثبات على دين الله والعمل به والصدع بالحق والصبر على البلاء من أجله.

اللهم إنا نسألك الثبات على دينك وعلى سُنَّة نبيك، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، ويا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، والحمد لله رب العالمين.